.3

إتباع المسيح

ساد وصف الحياة المُكَرسة كإتباعًا للمسيح "La Sequela" وسط لاهوتي الكتاب المقدس، في حقبة الستينات. فالمُكَرس هو تلميذ للمسيح وتابع له، مثل التلاميذ الإثنى عشر، كما هو واضح في نصوص العهد الجديد. يشكل اتباع المسيح قاعدة الحياة المُكَرسة الأساسية ومقياسها الوحيد المشترك لجميع العائلات المُكَرسة، فهو "السنّة الآخيرة للحياة المُكَرسة" (م. ك: 2). يسعى الراهب إذن إلى شخص المسيح نفسه، وهو "الطريق، والحق والحياة" (يو 14: 6).

تتواتر في الأناجيل دعوة يسوع للبعض، في صيغة آمر، "اتبعني" (مت 8: 22، 9: 9)، حتى إنه يرد 78 مرَّة في العهد الجديد. فيدعو المسيح الاثني عشر ليصبحوا تلاميذه المقربين. ولتوضيح المفهوم الرهباني لاتباع المسيح يجب توضيح المقصود "بالتلمذة"، التي يعدها البعض كغاية الحياة المُكَرسة، فالتتلمذ ليسوع المسيح هو ذروة الحياة المُكَرسة وسبب تبريرها .

كانت ظاهر "الرابيين" أو "المعلميين" ظاهرة مألوفة، ليس في الوسط اليهودي فقط، بل في العالم القديم. فمهمة التعليم والتثقيف كان تقع على عاتق هؤلاء في جميع العصور، ولنا مثلا في ذلك معلمو الفلسفة اليونانيين الذين كان يتحالق حولهم الشباب "التلاميذ" طالبين علمهم وخبراتهم. ينخرط الشخص في مدرسة "معلم" ما طلبا للتزود بأفكاره وعلمه الخاص، ومتى حصل على ما يريد من ثقافة وعلم يترك معلمه. فتلاميذ أفلاطون مثلا نهلوا من تعاليمه وأفكاره، لكن هذا لم يدفعهم إلى التقرب إلى شخصه. فإذا طبقنا هذا المفهوم على علاقة المسيح مع التلاميذ في العهد الجديد نخلص بأن المسيح هو "معلم" كثر عدد التلاميذ في مدرسته، كما نقرأ في أعمال الرسل (6: 1). هو معلم يمتلك أديولوجيا خاصة، يتعلمها من يلتحق بمدرسته، ويمكن له تطبيقها في حياته. سيتعلم مجموعة من القواعد والنظريات الأخلاقية، اللاهوتية، لكن هذا لا يعنى إنه عَرف شخص المسيح وارتبط معه بعلاقة شخصية حياتية. فنلاحظ إن كلمة "تلميذ" وردت 264 مرَّة في الأناجيل، كثيرون أنخرطوا في مدرسة المسيح، سمعوا تعاليمه، والبعض طبقها في حياته، إلا أنهم لم يرتبطوا حياتيًا بشخص المعلم، فتركوه في النهاية.

يلخص بولس الرسول حقيقة اتباع يسوع المسيح عند الكلام على دعوته الشخصية في اكثر من رسالة. ففي الرسالة إلى اهل غلاطية يقول: "ولكِنَ الله بِنِعمَتِهِ اَختارَني وأنا في بَطنِ أُمّي فدَعاني إلى خِدمَتِهِ. وعِندَما شاءَ أنْ يُعلِنَ اَبنَهُ فيَّ لأُبشِّرَ بِه بَينَ الأُمَمِ" (غلا 1: 15- 16). ففعل الاتباع يتضمن معانٍ عدة كما ترد في دعوة بولس والتلاميذ الاثني عشر (مرقص 3: 13- 14) "وصَعِدَ إلى الجبَلِ ودَعا الذينَ أرادَهُم فحَضَروا إلَيهِ. فأقامَ مِنهُم اَثنَي عشَرَ سَمّاهُم رُسُلاً يُرافِقونَهُ فيُرْسِلُهُم مُبَشِّرينَ".

1.3. المقصود بالإتباع

يختار يسوع شخص ما "دعا الذين أرادهم" دون التقيد بمعايير معينة، ليشترك معه في نمط الحياة الذي اختاره هو على الأرض. الاتّباع الحقيقي ليس هو تلمذة شخص في مدرسة المسيح، ليس سماع الأفكار وتعلم النظريات ومعرفة رؤى المعلم، بل هو الارتباط "بشخص" المعلم الذي يُجسد تلك الأفكار والرؤى. يختلف المسيح "كمعلم" عن غيره من المعلميين فهو لم يعلم بعض الحقائق عن الحياة أو معرفة ما، بل هو الحقيقة بذاتها. لم يكشف الطريق لتلاميذه المؤدي إلى المعرفة، بل هو الطريق ذاته، لم يُقدم نموذجًا للحياة، بل هو الحياة. يختار المسيح أشخاصًا بعينها لكي تواصل رسالته على الأرض التي بدائها هو، لهذا يصرح بولس بأن الله اختاره لا ليكون تلميذًا أو رسولاً، بل هو آداة أُخترت بعناية لكي يُعلن من خلالها الأبن للعالم.

فَهِمَ البعض من اختيار الرسل الاثني عشر بأن الاتباع هو السير خلف المعلم، هو مرافقة ومصاحبة يسوع، اي الاشتراك في حياة يسوع، من آلام وصليب، وأيضًا في مصيره. تُظهر نصوص كثيرة، مثل متى 16: 24-26: "وقالَ يَسوعُ لِتلاميذِهِ: "مَنْ أرادَ أنْ يَتبعَني، فلْيُنكِرْ نَفسَهُ ويَحمِلْ صَليبَهُ ويتبَعْني، أنَّ الَّذي يُريدُ أن يُخلِّصَ حياتَهُ يَخسَرُها، ولكنَّ الَّذي يخسَرُ حياتَهُ في سبيلي يَجِدُها" فلا اتباع دون قبول الزهد بالنفس وحمل الصليب. فمن يتبعه سيشترك في مصيره، في موته وقيامته. وقد عبر بولس كثيرًا عن دعوة الاتباع هذه بالقول: " فأَعرِفُ المَسيحَ وأَعرِفُ القُوَّةَ التي تَجَلَّت في قِيامَتِهِ وأشارِكُهُ في آلامِهِ وأتشَبَّهُ بِه في موتِهِ، على رَجاءِ قِيامَتي مِنْ بَينِ الأمواتِ" (فليبي 3: 10- 11).

لكن السير خلف المعلم ومرافقته ومصاحبته والاشتراك في مصيره، أي موته وقيامته هي سمات المسيحية عامة، بالمعمودية: "حينَ تَعَمَّدْنا لِنَتَّحِدَ بالمسيحِ يَسوعَ تَعَمَّدْنا لنَموتَ معَهُ، فدُفِنا معَهُ بالمعمودِيَّةِ وشارَكْناهُ في موتِهِ، حتى كما أقامَهُ الآبُ بقُدرَتِهِ المجيدَةِ مِنْ بَينِ الأمواتِ، نَسْلُكُ نَحنُ أيضًا في حياةٍ جديدَةٍ؟ 5فإذا كُنا اَتَّحَدْنا بِه في موتٍ يُشبِهُ مَوتَهُ، فكذلِكَ نَتَّحِدُ بِه في قيامَتِهِ" (رومية 6: 3-5).

المقصود بالاتّباع هو أكثر من ذلك!! دعا المسيح البعض ليصبحوا ويعيشوا "كمسيح آخر" إلى الدرجة التي يعلن فيها التلميذ، على غرار الرسول بولس: فالحياةُ عِندي هِيَ المَسيحُ" (فيلبي 1: 21). يتم هذا بقبول المسيح سيدً على حياة الشخص، فالمسيح لا يرغب في أن يفهم المُكرس الذي يختاره بعض الأفكار، بل أن يصبح هو عقله. لا يرغب في التأثير على إرادة الشخص بل أن يصبح إرادته. لا أن يساعد إنسان على الحياة بصورة أفضل، بل أن يصبح هو ذاته الحياة، لأنه هو الحياة. لا يمتلك المُكرس إذن فكر ليس فكره، رغبةً ليست رغبته، مشاعر ليس مشاعره. كل ما يملكه المُكرس يكون له، يُصبح المُكرس بجملته ملكًا له.

اتباع المسيح لا يعنى أخيرًا السير على خطى المسيح، بل أن يتحول الشخص إلى "آخر"، يصبح "مسيحٌ آخر". في مدرسة المسيح لا يقدم المسيح تعليمًا، بل ذاته. وعندما يلتحق شخص بمدرسته ويقبل شخص المسيح، يتجسد فيه، ويعمل على تغييره باطنيا ليصبح "مسيحًا آخر". وهذا ما يميز دعوة المسيح لاشخاص معيين باتباعه هو أن يكون يده وصوته وعقله وسط العالم.

2.3. المبادرة هي دومًا للمعلم

ليست المبادرة من التلميذ الذي يختار معلمًا مناسبًا وفقًا لاحتياجه وطلبه للعلم. فالتلميذ يختار معلمًا

بين مجموعة من المعلمين، فمن يريد أن يستزيد من علم ما عليه اختيار معلمًا بين كثيرين يقومون بالتدريس وتعليم هذا الفرع من العلوم. في حالة يسوع الأمر يختلف تمامًا، فهو الذي يختار تلاميذه وتابعيه من عموم الناس، دون معيار ثابت، فيختار الصياد، وجابي الضرائب وغيرهم من أصحاب الحرف المختلفة. فالمبادرة من المسيح (مر 13/3) لهذا فإنه يرفض من يتقدم إليه بمبادرة شخصية طالبًا أن يصبح تلميذه: فدَنا مِنهُ أَحَدُ مُعلِّمي الشَّريعةِ وقالَ لَه: "يا مُعلِّمُ، أتبَعُكَ أيْنَما تَذهَبُ". فأجابَهُ يَسوعُ: "للثَّعالِبِ أوكارٌ، ولِطُيورِ السَّماءِ أعشاشٌ، وأمّا اَبنُ الإنسانِ، فلا يَجِدُ أينَ يُسنِدُ رأسَهُ" (مت 8: 19- 20). ما يميز دعوة يسوع إذن ليس المجانية فقط، بل هي دعوة خلاقة، تخلق في الإنسان روح جديدة تجعله قادرًا على التخلي عن ذاته والسير وراءه. لهذا لا يوجد راهب غير مدعو بصورة شخصية من المسيح يسوع ليصبح تلميذًا له.

3.3. هدف الإتباع هو شخص يسوع ذاته

لا يُتبع يسوع لأجل "شيء ما"، حتى لو كان الوصول إلى الكمال، أو لأجل تنفيذ برنامجًا ما، فالدعوة تجد ذاتها في شخص يسوع وحده. فيسوع هو سبب الدعوة وهو أيضا الهدف الذي لأجله يترك الإنسان العالم ليكون معه. ففي صفحات الأناجيل لا نجد تفسيرًا من جانب يسوع عن سبب استدعائه للتلاميذ ودعوته لهم. فالذي يستجيب لدعوة يسوع لا يهدف إلى تعلم شيء ما من مدرسة يسوع، ثم يقود حياته بنفسه في المستقبل القريب، أو لكي يصبح هو بدوره معلمًا لآخرين، كما حدث لتلاميذ الرابين والفلاسفة والحكماء قديمًا. في مدرسة المسيح يتعلم الشخص كيف يصبح تلميذًا، وعندما ينطلق للكرازة يظل تلميذًا، لا تتغير هويته بأن يصبح معلم بدوره، بل يظل تلميذًا. لا يُعلم شيء خاصًا به، بل يقول ويفعل ويكرز ما هو للمعلم الأوحد، المسيح يسوع (مت 23: 8- 10).

4.3. المقصود بالتخلي

لا أهمية إذن "للتخلي" عند الكلام عن اتباع المسيح. فالذي يتخلي عن "أشياء" هو في الحقيقة يقرر التخلي عما يعوقه، فالبعض يتخلى عن أشياء مادية أو عن الزواج، والبعض يكرس حياته لخدمة معينة، لكننا لا نستطيع الجزم بأن التخلى أو التفرغ للخدمة هدفه يسوع المسيح. فهناك الكثيرين الذين يتخلوا عن الممتلكات المادية أو الارتباطات العاطفية دون أن يكون طاعة المسيح ضمن أولوياتهم. فالتخلى ليس مظهرًا من مظاهر اتباع يسوع. لأن قرار التخلى يُشعر الإنسان بأنه صاحب القرار، هو سيد حياته، فالقرار لا يحرره من الآنا ومن الرغبة الدفينة في أعماق الإنسان بأن يكون سيد حياته والمتحكم الوحيد فيها وهي تجربة الإنسان الأساسية: "تصيران آلهة". فالذي يتحرر من ممتلكاته المادية مثلا، يتحرر من ثقل مسئولية إدارتها، لكنه لا يتحرر من نفسه، فهو يبقى نفسه، بل يتعاظم في نظر نفسه أكثر من ذي قبل.

ينطبق هذا على التخلى الرهباني، فالشاب الذي يتخلى عن الزواج ليصبح كارزًا بالإنجيل، والطبيب الذي يتخلى عن مهنته ليصبح كاهنًا، والفتاة التي تتخلى عن عائلتها لتشارك الفقراء حياتهم: جميعهم يتخلون عن أشياء ضرورية للحياة، لكن لا يكون تخليهم "تخلى رهباني" إلا إذا كان نتيجة للقاء يسوع والرغبة في المكوث معه والتشبه به وليس سببًا ضروريًا لاتباعه. إذا لم يتوافر هذا الشرط فإن التخلي يكون مظهرًا من مظاهر تحقيق الذات، واستجابة لتلك التجربة الأصيلة في الطبيعة البشرية "وتَصيرانِ مِثلَ اللهِ تعرفانِ الخيرَ والشَّرَّ" (تك 3: 5). وهذا يتعارض مع مفهوم اتباع المسيح الذي فيه يقبل الإنسان بأن يحوله الروح القدس إلى "مسيح آخر".

وعندما يلتحق شخص بمدرسته ويقبل شخص المسيح، يتجسد فيه، ويصبح اليد والصوت والعمل الذي من خلاله يواصل المسيح حضوره في العالم. فهذه الأصالة الإنجيلية لاتباع المسيح تتنطبق على كل خيارات الحياة المسيحية، المُكرسة والعلمانية والكهنوتية، فكل أنماط الحياة المسيحية هي أنماط مختلفة لاتباع المسيح يسوع.

الاتباع إذن هي حياة مسيحية أصيلة معاشة يقبل فيها الشخص الدخول في علاقة مع يسوع المسيح وخدمته من خلال خدمة جسده السري بالطريقة التي يرتأها يسوع المسيح. المشكلة ليست في التخلي عن الخيرات المادية أو ضروريات الحياة بل في التخلي عن الذات، بأن يقبل الإنسان أن يضع حياته بين يدي المعلم معلنًا: "ماذا تريد مني يارب أن أفعل؟". في ذات الوقت فأنه لا يمكن التخلى التام عن الذات مالم يرافقه بعض مظاهر التخلي المادية، أو الأهداف الشخصية للتفرغ التام للعمل لأجل تأسيس ملكوت السموات.

1.4.3. التخلي عن الذات

يعبر التخلي عن الذات عن استعداد المُكَرس للزهد في نفسه، التي هي أعظم ما يملك الإنسان، ليملكها المسيح. وهذا ما عبر عنه بولس الرسول خير تعبير: " ما كانَ لي مِنْ رِبحٍ، حَسَبتُهُ خَسارَةً مِنْ أجلِ المَسيحِ، بَلْ أحسُبُ كُلَ شيءٍ خَسارةً مِنْ أجلِ الرِّبحِ الأعظَمِ، وهوَ مَعرِفَةُ المَسيحِ يَسوعَ رَبّي. مِنْ أجلِهِ خَسِرتُ كُلَ شيءٍ وحَسَبتُ كُلَ شيءٍ نِفايَةً لأربَحَ المَسيحَ وأكونَ فيهِ" (فل 3: 7- 9). فلا اتباع لشخص يسوع المسيح من دون قبول الزهد بالذات، الخسارة من أجل ربحه هو شخصيًا. التخلي عن الذات هو مثل تخلي يسوع ذاته: "اخلى ذاته آخذًا صورة عبد". فيستهل بولس هذا النشيد المسيحاني بقوله: "كونوا على فكر المسيح يسوع" أو (تبعا للترجمة اليسوعية) "فلْيَكُنْ فيما بَينَكُمُ الشُّعورُ الَّذي هو أَيضاً في المَسيحِ يَسوع". تعرض هذه المشاعر في الآيات التي تلي الموعظة، وهي: المحبة، الكرم، التواضع، إطاعة الرب، وهبة الذات. إنها ليست فقط مسألة اتباع مثال يسوع، كشيء معنوي، ولكنها تشتمل على وجود الشخص الكلي أي طريقة تفكيره، وتصرفه. تقود الحياة المُكَرسة الشخص إلى معرفة أعمق واتحاد محبة مع الرب، بهدف أن يفكر، ويعمل، ويحب مثله، وفيه، ولأجله.

تجرد المسيح من ذاته وأخذ صورة عبد وهي حقيقة إنسانية تتميز بالمعاناة والفقر والموت. تشبه بالإنسان في كل شيء، ما عدا الخطيئة، ليكون بمثابة عبد يهب لخدمة الآخرين. هكذا أيضًا يتخلى المُكَرس عن ذاته لاجل خدمة الملكوت، يترك ذاته تمامًا ليملكها المسيح ويواصل خدمته للبشرية من خلال الشخص. فيسيطر فكر المسيح واحاسيسه ومشاعره على الشخص المُكَرس فيتصرف مثلما تصرف المسيح. يؤكد القديس كيرلس الإسكندري "يهدف عمل الروح الى تغييرنا بالنعمة الى صورة مطابقة لإذلاله" (Festal Letter 10, 4). ولكن، غالبًا ما ينظر المنطق البشري الى تحقيق الذات من خلال القوة، والهيمنة، والوسائل القوية. يريد الإنسان أن يكمل بناء برج بابل بقوته الخاصة، وذلك ليصل الى الله من دون مساعدة، وليكون مثله. إن التجسد والصليب يذكراننا بأن التحقيق الكامل يكمن في مطابقة إرادة الإنسان لمشيئة الله، بالتفرغ من الأنانية للإمتلاء بالمحبة، محبة الله، فهكذا نستطيع أن نحب الآخرين. لا يجد الإنسان نفسه إن بقي منغلقًا على ذاته، ومؤكدًا ذاته، بل يجد الإنسان نفسه فقط إن خرج من نفسه، فإننا نجد أنفسنا فقط إن خرجنا من أنفسنا. فإذا أراد آدم أن يقلد الله، فإن الأمر بذاته لم يكن سيئًا، ولكنه أخطأ بفكرته التي كونها حول الله. فالله لا يبغي العظمة فحسب، بل الله محبة، هو الذي أعطى نفسه أولا في الثالوث الأقدس، ومن ثم في الخلق. إذًا، تقليد الله لا يعني الخروج من النفس فحسب، بل يعني بذل النفس في المحبة.

والمقصود بالتخلي عن الذات هو التخلي عن كل شيء، أن ينسى الإنسان نفسه، ولا يهتم برغباته الذاتية، مثل تقدير الذات والطموح الإنساني الطبيعي في سبيل الآخرين. التخلي الأخير لا يقوم به الإنسان مرة واحدة على باب الدير، مثلما الحال في التخلي عن الخيرات المادية والرباطات الأسرية، ولكنه أختيار مستمر طوال الحياة. يعتمد هذا التخلي على الإختيار الحر لأمور الحياة اليومية، صغرت أو كبرت، ليتوارى فيه الإنسان ويقدم الآخوة على ذاته.

2.4.3. التخلى المادي

إلا إن هذا التخلي الباطني يُعبر عنه بمظاهر خارجية تتمثل في التخلي المادي والعاطفي. فمشهد الشاب الغني الذي يعود حزينا إلى بيته لتمسكه بالمال، دفع الكثير من الرهبان، وعلى رأسهم القديس أنطونيوس الكبير ثم فرنسيس، للتخلي عن ممتلكاتهم لأجل ربح الملكوت عملا بقول الرب، الذي يأتي كخاتمة لمثل الشاب الغني وردً على تساؤل بطرس وماذا عنا نحن اتباعك: نَحنُ تَركنا كُلَ شيءٍ وتَبِعْناكَ (مر 10: 17- 30): " أجابَهُ يَسوعُ: «الحقَّ أقولُ لكُم: ما مِنْ أحدٍ ترَكَ بَيتًا أو إخوَةً أو أخواتٍ أو أُمًا أو أبًا أو أولادًا أو حُقولاً مِنْ أجلي ومِنْ أجلِ البِشارَةِ، إلاَّ نالَ في هذِهِ الدُّنيا، معَ الاضطِهاداتِ، مئةَ ضُعفٍ مِنَ البيوتِ والإخوةِ والأخواتِ والأُمَّهاتِ والأولادِ والحُقولِ، ونالَ في الآخِرَةِ الحياةَ الأبديَّةَ». يدعو يسوع اتباعه لأن يفضلوه عن جميع الخيرات المادية وهذا ما دفع الرهبان، عبر تاريخ الحياة المُكَرسة، ينذرون نذر الفقر، تلبية لطلب يسوع بألا يُفضِّل المدعوُّون شيئًا عليه. إلا إن هذا الامر فُهِما كشرط لاتباع يسوع، في حين إنه نتيجة للقاء يسوع مع الشخص الذي يختاره فيصبح كل شيء كنفاية.

شكل التخلي المادي عنصرًا أساسيًا لاتباع يسوع طوال تاريخ الحياة المُكَرسة، فالقديس أنطونيوس، أب الرهبان، يتخلي عن كل ممتلكاته وينزوي في البرية فور سماعه إنجيل الشاب الغني وطلب يسوع بالتخلي عن الممتلكات المادية. هكذا يصف أورزيسوس، تلميذ باخوميوس، هذه الفكرة: "أي فائدة لنا حين يكون لنا أكثر من عباءة أو سرير فخم، وأي شيء أقوي من صليب المسيح؟ إن الحياة حسب صليب المسيح هي التي أسسها آبائنا القديسين لتكون على أساس الرسل والأنبياء" . وتدرج مفهوم التخلي من الاستغناء عن الأشياء المادية، كما هو الحال عند الرهبان المتوحدين، بالرغم من ضرورة احتفاظهم ببعض الأشياء الضرورية اللازمة لاستمرار الحياة، إلى وضع كل شيء تحت تصرف الجماعة المُكَرسة كما هو عند الباخوميين والذي وجد كماله في القرن الثاني عشر مع القديس فرنسيس.

3.4.3. التخلي العاطفي

هناك أيضًا التخلي عن العائلة وحُبّ الأهل لأجل محبة الله. عَمَد الإنجيلي متى إلى التفرقة بين الأغابي المخصصة لله، والفيلو المخصصة لمحبة العائلة في (مت 10: 37- 39): " مَنْ أحبَّ أباهُ أو أمَّهُ أكثرَ ممّا يُحِبُّني، فلا يَسْتحِقُّني. ومَنْ أحبَّ اَبنَهُ أو بِنتَهُ أكثرَ ممّا يُحبُّني، فلا يَسْتحِقُّني. ومَنْ لا يَحمِلُ صليبَهُ ويَتْبعُني، فلا يَسْتحِقُّني. مَنْ حَفِظَ حياتَهُ يَخسَرُها، ومَنْ خَسِرَ حياتَهُ مِنْ أجلي يَحفَظُها". يطلب يسوع هنا بتفضيله على احتياجات الإنسان الطبيعية كالزواج والارتباطات العائلية وعن الذرية التي نالت أهمية كبيرة في وعود الله ذاته لإبراهيم ولشعبه المختار. وجميعنا يعرف أن التبتل رافق الحياة المُكَرسة منذ نشأتها، ففضل المُكَرسون محبة المسيح على حُبّ زوجة أو أبناء أو أهل، عملاً بطلب يسوع بألا يُفضِّل المدعوُّون أحدًا عليه. إلا إن هذا الامر، مثلما الحال في التخلى المادي، فُهِما كشرط لاتباع يسوع، في حين إنه نتيجة للقاء يسوع مع الشخص الذي

ينشغل تمامًا باستكمال مسيرة تأسيس الملكوت على الأرض عن أي اهتمامات أخرى، بل يتخلى عن شيء في طبيعته البشرية، كالافتنان بالجنس الآخر، وغريزة الأمومة والأبوة لأجل التفرغ لرسالته الفريدة.

ويُظهر تاريخ الرهبنة قديمًا بوجوب بقاء طالب الرهبنة فترة زمنية أمام باب الدير ليتم اختباره متى كان يستطيع أن يترك أقاربه الجسديين ولا يلتقى مع أبيه الجسدي إذا حضر ليطلبه بل يعلن له البواب على فم الراهب المتبدئ بأنه منذ الآن لا يوجد أي تأثير جسدي ولا يوجد مَن يتسلط عليه بناء على قرابة الجسد بل يخبره بأن الجميع أخوته" . المقصود بالتخلي هنا ليس كراهية العائلة أو نبذها تماماً، بل أن لا يكون للعائلة تأثير على اختيارات الراهب وعلى قراراته. يحمل لنا التاريخ عن تشدد البعض في هذا الأمر، فتادرس يرفض رؤية أمه عند زيارتها له بالدير، ومعاملة أخوه الأصغر بقسوة مبالغ فيها.

6.3. الحياة المسيحية هي اتباع للمسيح يسوع

بالعماد يُدشن الإنسان مسيرة اتباعه للمسيح يسوع، فيدخل في علاقة ارتباطية مع جسده السري ويصبح عضوًا في هذا الجسد، غصنًا في الكرمة الحقيقية. يُشارك في حياة الكرمة ويُثمر ثمارها. الاتباع هو عيش الحياة المسيحية الأصيلة والاشتراك معه في مرحلة التاريخ الحاضرة والتدبير الخلاصي. إن ممارسة مفاعيل العماد وعيش القيم الإنجيلية من محبةٍ ومغفرةٍ وخدمة للآخرين تجعل من المُعمد تلميذًا حقيقيًا للمسيح. ففي القرون الأولى كان على من يرغب في العماد أن يبدأ حياة توبة مسيحية فعلية، بأن يترك خصاله القديمة ويُسلم حياته بين يدي المخلص، ثم يعيش هذه القيم المسيحية طوال حياته مستمرًا كتلميذًا للمسيح.

سبق الاشارة إلى أن جميع الدعوات المسيحية، من علمانية ورهبانية وكهنوتية، هي دعوات لاتباع المسيح ومشاركته حياته ورسالته الخلاصية في العالم. ليس هناك "دعوة مميزة"، فالجميع مدعوون لاتباع يسوع المسيح كما إنهم مدعون للقداسة.

لكن تُظهر صفحات الإنجيل إن هناك البعض اختارهم المسيح، من بين الجميع، ودعاهم بصورة فريدة، تختلف عن دعوته العامة للناس باتباعه. هناك مجموعة من التلاميذ تبعوه في كل مكان، مشاركين عن قرب في حياته ورسالته، دعاهم أن يتركوا كل شيء، العائلة من زوجات وأولاد، ممتلكاتهم، أعمالهم، لكي يشاركوه حياته ورسالته: (مت 4: 20- 24؛ مر 1: 18- 20؛ مت 9: 12؛ مر 1: 14؛ مت 19: 27). تعكس تلك النصوص انفصال هؤلاء عن واقعهم المادي والاجتماعي لأجل حياة مختلفة. فعمل هؤلاء "المختارون" يُصبح حياة يسوع ورسالته في العالم. هذا يجعل نمط حياة هؤلاء "التلاميذ" يختلف عن عموم المسيحيين. فعائلاتهم تصبح المسيح، وعملهم يصبح رسالة المسيح، وتضحى كل حياتهم هي للمسيح.

بكلمات أخرى، يُحدد المسيح وجود التلميذ، كما تُحدد العائلة أو العمل الوجود البشري، فأنت ابن لعائلة محددة، وتُشكل وظيفتك جزء من هويتك. وهذا "ما يميز دعوة التلاميذ" عن غيرها من دعوات اتباع يسوع. هي دعوة لاشتراك في عائلة يسوع وتقاسم نمط حياته ورسالته وافكاره حتى مصيره. هذه "العائلة" تظهر جليا في العهد الجديد. وهذه الدعوة هي بمثابة الغاية التي تسعى إليها كل دعوة مسيحية.

ويُظهر تاريخ الحياة المُكَرسة منذ نشأتها على يد بعض الفلاحين الأقباط في صعيد مصر، مرورًا بتعاليم أثناسيوس الرسولي وما كتبه عن القديس أنطونيوس، ثم جيروم وبندكتوس ثم القديس فرنسيس حتى نصل إلى المنظمات المُكَرسة المعاصرة، ارتباط هذا النوع من الحياة باتباع يسوع المسيح، والاعتماد على النصوص

الإنجيلية لدعوة التلاميذ الأوائل. وهذا ما عبر عنه المجمع الفاتيكاني الثاني: " فمنذ أجيال الكنيسة الأولى، عزم رجال ونساء على أن يمارسوا المشورات الإنجيلية ويتبعوا المسيح بحرية أكبر، ويتشبهوا به بأمانة أعمق. فعاش كل منهم على طريقته حياةً كرسها لله" (م.ك: 1).

لا يُقصد بالاتباع هنا فعل شيء، أو التخلي عن شيء، أو عيش فضيلة من الفضائل كالرحمة والفقر وغيرها. هي أن يُصبح الشخص مسيح آخر، فالمسيح يدعو البعض للتحول، بنعمة من الروح القدس، إلى حياته هو في الواقع الذي يعيشه الشخص المعني. والمقصود بنمط حياة يسوع ليس إعادة طرق تعامل يسوع الخارجية مع المجتمع، بل التحول الباطني لشخصه. فالمُكَرس يُعيد حياة يسوع وحقيقته، الداخلية والخارجية، مشاعره، سلوكياته كقانون حي للوجود الحياتي. فالهدف النهائي للاتباع هو شخص يسوع المسيح ذاته، هو التحول على صورة المُعلم. فالحياة المُكَرسة تجد جذورها العميقة في الاقتداء بشخص يسوع، وطريقته في العيش، وعلاقته مع الآب ومع الناس. وقد تم التعبير عن حقيقة اتباع يسوع بثلاث طرق مختلفة: جذرية التخلي عن العالم وارتباطاته في سبيل العيش للرب وحده (حياة التأمل والتوحد)؛ حياة الشركة ومقاسمة الحياة مع المسيح والأخرين (الحياة الجماعية)؛ الحياة الإرسالية للمشاركة في حياة يسوع الرسولية وعمله الخلاصي.